الاغتراب و تمثلاته الفنية في شعر رمضان حمود الجزائري

Alienation and its artistic representation in the poetry of Ramadan Hammoud Al_jazairi

1 ط.د. بن عبد الله عبد القادر*

جامعة الجيلالي اليابس سيدي بلعباس، (الجزائر)، benabellah.abdelkader@gmail.com

2 أ.د. مسلم عائشة

جامعة الجيلالي اليابس سيدي بلعباس، (الجزائر)، meslemaicha18@gmail.com

تاريخ الارسال21-10-2025 تاريخ القبول 25-11-2025 تاريخ النشر10-06-2026

ملخص:

لم يكن الشعر العربي منذ نشأته وليد ترف فكري وانعكاسا لتخمة الحياة بل، صورة مكملة تعكس واقع الإنسان. ولا يعدو الشعر الجزائري أن يكون إلا كذلك فهو ليس استثناء على الإطلاق فجاء هذا الشعر بكل ضروبه وأنواعه تلبية لحاجات نفسية، وطبيعة، وفكرية أملتها الحاجات الضرورية الأخرى للحياة.

فأضحى هذا الشعر ميدانا خصبا وفضاء رحبا لهواجس النفس وخلجاتها لكونه أقدر على حمل وإبراز المشاعر الحزينة والمؤلمة بشكل صادق وإذا كان هذا حال الشعر سيغدو المعبر الحقيقي عن ظاهرة الاغتراب والمصور لها بكل تمثلاتها وأبعادها الفنية، إن هذه الأخيرة شكلت ظاهرة موضوعاتية ذات مدلولات فنية في شعر رمضان حمود وسنحاول استنطاق الأبعاد والدّلالات الفنيّة عبر تكامل مجموع الآليات والمناهج النقدية من النفسي إلى الاجتماعي والأسلوبي.

الكلمات المتاحية: الاغتراب.المعجم الشّعري.الأبعاد الفنيّة.الصورة الشّعرية.الشعر الجزائري

Abstract:

Arab poetry, since its emergence, has never been a mere luxury or reflection detached from life, but rather a complementary image that expresses human reality. Algerian poetry, in particular, cannot be an exception in this regard, for it has always directed itself toward serving human needs — whether material, psychological, or spiritual — and reflected the internal and external necessities of life.

This type of poetry was a sincere expression, full of feelings and emotions, capable of portraying sorrow and revealing melancholic emotions honestly and vividly. If this poetry expressed the phenomenon of alienation and exile in all its manifestations and dimensions, then this recent phenomenon appeared through poetic symbols with artistic and thematic connotations in the poetry of Ramadan Joud, where it was able to capture psychological, social, and stylistic dimensions

Keywords: alienation, poetic lexicon, poetic imagery, Algerian poetry

1. مقدمة:

يعتبر "رمضان حمود" شاعرا ثوريا من رجال الفكر والإصلاح في الجزائر، اهتم في قصائده بمعالجة قضايا الإصلاح والنهضة الفكرية والاجتماعية، وفي إطار تتبع البعد الفني والجمالي الذي تأخذه ظاهرة الاغتراب في النص الشّعري عند شاعرنا "رمضان حمود" الذي اتخذناه نموذجا لبحثنا سنحاول في هذا البحث تلمّس ظاهرة الاغتراب وتمثلاتها الفنية من خلال دراستنا لقضايا المعجم الشعري واللغة الشعرية وكيف وظفها شاعرنا في التعبير والكشف عن حالة الاغتراب التي عاشها.

2. المعجم الشعري

تعد اللغة من أحد أعمدة البناء الشّعري والركيزة التي تقوم عليها بقية العناصر المشكلة للعمل الفني وقد نعتبرها المقياس الذي يتّخذه النقاد وسيلتهم و الأداة الفعالة في الحكم على جودة العمل الأدبي شعرا كان أم نثرا من عدمه، والسؤال المطروح كيف استطاع شاعرنا أن يخلق لنفسه معجما شعريا يعبّر به عن كَوامِن نفسه ودواخلها، وهل استغل اللّغة لصالحه وعبر بها عن حالة الغربة واليأس التي كان يقاسيها.

يلاحظ الدّارس للأدب الجزائري الحديث وبخاصة الشعر في فترة حياة الشاعر تأثير القرءان الكريم على عموم المعجم الشعري بالنسبة لشعراء تلك الفترة، لأن لغة القرءان «واقعية في دلالاتها وقوية في تعبيرها، تمتاز بمميزات لا تتوفر لأية لغة أخرى مما جعلها تتسم بالذروة في البلاغة والبيان»[1]، ويرجع اهتمام الشاعر باللغة إلى كونه أحد المثقفين المصلحين الذين عنوا بالهوية والتراث والانتماء الأكبر للأمة العربية، لهذا غدت اللغة شيئا مقدسا بالنسبة له، وان كان الشاعر من دعاة التجديد فإن لغته الشعرية كان لها دور لافت في إيصال انفعاله واغترابه .

تبدو لغة "رمضان حمود" في عمومياتها مباشرة وتقريرية وواضحة تبتعد عن الغموض والصُّعوبة، ومن خلال استقرائنا لشعره وجدناه يتخذ القرءان الكريم سندا في انتقاء صوره للتعبير عن حالة الاغتراب التي نحاول الوقوف عليها في شعره إلا نادرًا والذّي استوقفنا هو مجرد توظيف محدود لا ينقل الظاهرة إلى مستويات أعمق كما في قوله في قصيدة "علام نلوم الدهر":

فَإنْ تَنصُرونَني إنَّني خَيرُ ناصر * وإن تَخْذلوني فالشَّقاءُ والبَلابِل**[2]

نجد في البيت اقتباس واضح وجلي مع الآيتين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ (7) وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعۡسٗا لَّهُمۡ وَأَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾[3] من سورة "محمد" عليه الصلاة والسلام، ومع الآية160 من سورة آل عمران:﴿ إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ(160)﴾[4]

إنه اتكاء واضح على الآية في محاولة لوخز الضمير الحي لدى الشعب كي يساعدَ الشّاعر في مسعاه للتّنوير والارتقاء بحال الوطن للأحسن، وفي موقف آخر نجده يحاول الخروج إلى القارئ بمشاعره المغتربة وإن كانت الصّورة تبدو أملتها الحاجة لا نقل عواطف الاغتراب يقول:

فَلن يَظلِمَ الله العِبادَ بحُكمه * ولكن كُفر المرء للمرء قاتل**[5]

إنه اقتباس لمعني الآية الكريمة: ﴿مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ (46)﴾[6] وكذلك مع الآية: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا مَا قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُۚ وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ(118) ﴾[7]

يظهر أن "حمود" متأثر بالقرآن ولكنّه لا يوظف منه إلا القليل وقد يرجع هذا إلى نظرته التجديدية في الشعر، وبالتالي يمكننا القول أنّه عند هذا المستوي لم يوفق كثيرا كي يفصح عن غربته، إضافةً إلى القرءان الكريم نجد الشاعر يحاول محاكاة ومعارضة الشعراء العرب القدامى كالمتنبي، والطغرائي، والشنفري، كي ينقل إلى المتلقي مشاعر حزنه وغربته، فيعبر عن حالة من الغربة الفكرية بين قومه الذين يفلحون في لوم الدّهر على ما أصابهم فيقول معاتبا:

علام نلوم الدهر والله عادل * وننسب للأيام ما هو باطل**[8]

نلمح في البيت بصمات معجم "الشافعي"حين يقول أو فيما ينسب إليه:

نعيب زماننا والعيب فينا * وما لزماننا عيب سوانـــا**

ونهجو ذا الزّمان بغير ذنب * ولو نطق الزّمان لنا لهجانا** [9]

وفي صورة أخري من صور الاغتراب عند الشّاعر نجده يتّخذ من معجم "الشّنفري " مطيّة ليصور لنا مشاعره المغتربة حيث يقول:

ولا أعيش بأرض الذُّل مكتئبـا * فالذُّل من شيمة الأنذال والسفل**

وأبذل النّفس في سبيل الحياة فدىً * «ولا أعوّل في الدّنيا على رجـــل»** [10]

يحاكي "حمود" هنا الشنفري في قوله :

وفي الأرض الكريمة منأى للكريم عن الأذي* وفيها لمن خاف القلى متعزل**

لعمرك ما بالأرض ضيق على امرئ ***سرى راغبا أو راهبا وهو يعقل [11]

إنه تعبير عن اغترابٍ ونفسٍ أبيّة ترفض الاتّكال على الغير، إنّه إيمان قويّ وراسخ بمبدئه في الحياة ولا يرضي بالذُّل والهوان. وتظهر روح القصائد العربية واضحة "فرمضان حمود" يُعارض في قصائده "لامية العجم" للطغرائي وقد ذهب إلى هذا كل من "محمد ناصر ومحمد الهادي بوطارن"[12]، فالأبيات السالفة الذّكر تسير في نفس الجو الذي تسير فيه قصيدة "الطغرائي" التي مطلعها:

أصالة الرّأي صانتني عن الخطل * وحلية الفضل زانتني لـــدى العطـــــل**

مجدي أخيرا ومجدي أولا شرع * والشمس رأْدَ الضّحي كالشمس في الطفل** [13]

ويعبّر شاعرنا عن بؤس وشقاء أهل العلم وذوي المعارف وكيف أن البؤس يلازمهم والغم يقتلهم، بينما الجاهل ينعم ويصول ويجول إنها غربة فكرية تلازم الشّاعر وكل متعلم في البلدان الضعيفة وقتها فنجده يقول:

فذو المعارف يشقي * والبؤس طي ردائه**

كم عالم مات غمّا * بصبره ووفائـــــه**

وجاهل في نعيم * يجول في علوائه** [14]

في هذه الأبيات تناص واضح مع المتنبي في بيته المشهور:

ذو العقل يشقي في النعيم بعقله * وأخو الجهالة في الشّقاوة ينعم**[15]

يظهر أن "حمود"متأثر كثيرا بالشعر القديم، وقد أحسن توظيفه ومعارضته للشعراء في وصفه لحالة الاغتراب والأسى التي يشعر بها على أمته وما تضمينه بيته الشعري:

وأبذل النّفس في سبيل الحياة فدى * "ولا أعول في الدنيا على رجل "**[16]

شطرا كاملا من لامية العجم "للطغرائي" إلا دليل واضح على هذا التأثر «ولعل فورة الشباب وحماسته وما عرف به رمضان حمود من طموح وإباء ثم ما كانت عليه نفسه من قلق و اغتراب، وهي حالة استبدت بالطغرائي وأملت عليه لاميته، هذه الأسباب جعلته يعجب بهذه القصيدة كل هذا الإعجاب...»[17]، ونستشف ممّا سبق عجز الشاعر عن ابتداع وخلق معجم شعري خاص به يعبر عن اغترابه، لذلك نجده ينزع هذا النزوع إلى الشعر العربي القديم بقوالبه الجاهزة.

ويتواصل سوقنا لهذه النماذج الشعرية التّي تكوّن معجم الشاعر والتي توحي بحالة ضياع وسط هذا الزحام ومع هذه الألفاظ الموحية دائما والمحيلة على اغتراب الشّاعر وفي قالب من الحكمة يطالعنا "حمود" بأبيات يتناص فيها مع "أبي البقاء الرّندي" صاحب المرثية الشهيرة والتي تعد من روائع ما قيل في الرثاء الأندلسي ويقول في مطلعها:

لكل شيء إذا ما تم نقصان * فلا يغر بطيب العيش إنسان**[18]

فيقول "رمضان حمود" في معارضته للرّندي في سياق رثاءه لأحد رجال ميزاب[19] وبنغمة حزينة:

فواجع الدّهر أشكال وألوان * والمرء عند حلول الخطب ولهان**

هي الحوادث لا تنفك تطلبه * وفـي الحياة له حب وطغيان**

يسعى الفتى وسرور العيش يخدعه * في كل آونة يغويه شيطـــان**

ينسى التقلب مسرورا بحالته * وآخر الطيش إفلاس وخسران**[20]

نسج الشاعر على منوال "أبي البقاء الرّندي" فأتى بأبيات تدور في نفس جوّ القصيدة "النونية "، كما أن الأبيات لا تخلو من الحكمة في التعامل مع الدّهر ، وجريا على خطى أبي العتاهية .

والقارئ لشعر "حمود" المبثوث في ثنايا الكتب يجده يغصّ بألفاظ معبرة عن الغربة والحزن والأسى ومشاعر الاكتئاب، ففي قصيدة "يا قلبي" كم هائل من ألفاظ الحزن والبكاء يقول :

أيها القلب خفّف الحزن واصبر* إنّ في الصّبر للكماة دروعا**

أيها القلب والدموع سجام * فأمر العين أن تصون الدّموعا**

ودع اليأس والأسى، وترقب * كم فؤاد باليأس بات صريعا**[21]

إن ألفاظاً نحو(الحزن، الدموع، اليأس، الأسى، صريعا، المصائب، المنكود، الحشا، الهوان، الهم، النوائب، الألم، الحرمان) توحي بمدى الحزن الذي كان يعانيه "رمضان حمود" ويقول في نفس القصيدة :

أنت يا قلبي فريد في الألم والأحزان

ونصيبك من الدنيا الخيبة والحرمان

أنت يا قلبي تشكو هموما كبارا، وغير كبار

أنت يا قلبي مكلوم، ودمك الطاهر يعبث به الدهر الجبار[22]

إن المعجم الذي استخدمه الشاعر مليء بعبارات ومفردات (الألم ، الحرمان) وهي توحي وتصور يأسه وقسوة الزمان، وفيما يلي جدول بمفردات الاغتراب والحزن والأسى في كل من قصيدة "**يا قلبي**"

القصيدة	العبارات والألفاظ الدالة على الحزن والأسى
"ياقلبي".1928.عدد الأبيات43. 03- مقاطع حرّة 03- مقاطع عمودية	الألم، الحزن، فريد، الخيبة، الحرمان، هموما، تشكو، مكلوم، الحياة مرة، هم يذيب جوانحي، جذوة نار، نفس معذبة، النوائب، الأكدار، خانني دهري، عابس، أوصابك، لحزنك، الشقاء، الكآبة، ظلمائك، الدموع، اليأس، الأسى، الشجو، البكاء...
"دمعة حارة في سبيل الأمة والشرف" 1926عدد الأبيات 30 بيت.	مفردة"بكيت" تكررت 12مرة في الأبيات . مفردة"البكاء"تكررت 04 مرات في القصيدة. صيغة المتكلم "لم أبك، فأبكي"مرتين(02) في القصيدة. الفعل "بكى"مسند الي ضمير الجماعة المتكلمين"فنبكي"ورد مرة واحدة في كامل القصيدة. "بكائي"وردت مرة واحدة. ذرفت، أدمعا، صبابة....الرّدى، النوائب.

بالحديث عن قصيدة "يا قلبي"التي حمّلها "حمود" مشاعر حزن وألم كبيرين وهي نموذج للاغتراب في شعره، نجد الشّاعر يقع في تناص كبير مع أبي القاسم الشابي وبالتحديد مع قصيدة "إلى قلبي التائه"، وتبدو معارضة شاعرنا للشابي بدءًا بالعنوان وانتهاءً إلى المتن فيقول:

يا قلبي هل لأوصابك من طبيب يداويها

وهل لحزنك من غاية يقف فيها؟

ما هذا الشقاء الذي تهتز منه جوانبك؟

وما هذه الكآبة التي ترافقك وتجانبك؟

أما آن للسعادة أن تشرق في سمائك

أما آن للبدر أن يسطع في ظلمائك!! [23]

بينما يقول الشابي:

ما لآفاقك يا قلبي سودا حالكات؟

ولأورادك بين الشوك صفرا ذاويات؟

ولأطيارك لا تلغو؟ فأين النغمات؟

ولأوتارك لا تخفق إلّا شاكيات؟

ولأنغامك لا تنطق إلا باكيات؟[24]

ولا يقف التقاطع عند هاذين المقطعين بل يتواصل في القصيدة كلها فيقول "حمود":

أنت يا قلبي فريد في الألم والأحزان

ونصيبك من الدنيا الخيبة والحرمان

أنت يا قلبي تشكو هموما كبارا، وغير كبار

أنت يا قلبي مكلوم، ودمك الطاهر يعبث به الدهر الجبار[25]

ويقول أبو القاسم الشابي:

أنت يا قلبي قلب أنضجته الزفرات

أنت يا قلبي عش نفرت غنه القطاة*

فأطارته إلى النهر الرياح العاتيات

أنت ليل معتم تندب فيه الباكيات

أنت كهف مظلم، تأوي إليه البائسات[26]

لقد سبق وأن أشار محمد ناصر إلى التشابه القريب بين "رمضان حمود" و"أبو القاسم الشابي" ولا شك أن الأمر يفاجئ القراء فحتى على المستوى الشخصي والحياتي والتجربة نجد تشابه كبير بينهما، وأيضا في كونهما يعانيان اغتراب حقيقي، إنهما يتشاركان في تحمسهما للتجديد والثورة على القديم، وكما أن حمود كان يشعر بالاغتراب فإن الشابي هو الآخر عانى الاغتراب في تونس.

إن شاعرا هذا معجمه الشعري وهذه مفرداته لا تخفى عنده مشاعر الغربة والحزن والأسى، فهو يذكر كلمة "بكيت" أكثر من 20 مرة في قصيدة "دمعة حارة في سبيل الأمة والشرف" بل إن عنوان القصيدة نفسه فيه دلالة على اغتراب الشاعر، لقد سخّر الشاعر مظاهر الطبيعة أيضا للتعبير عن حالته الشعورية الحزينة والقلقة والكئيبة ومن ذلك قوله:

لله ما أبهى الطبيعة إنـــهـــا * ملكت علي مشاعر الوجدان**

ناجيتها فحرقتها،أحببتها * والحب أقصى بقية الإنسان**[27]

ثم يصور لنا مظاهر هذه الطبيعة التي ملكت عليه مشاعره وشغلت قلبه.

أنظر الى الكون البديع بنوره * وظلامه ، وسكونه الروحاني**

ونسيمه وهبوبه ومياهـــــــه * وخريره ، وجمالــه الفتان**

أنظر الى قمر السما متلألئا * فكـــــأنه تاج مــن التيجان**

والقبة الزرقاء تحسب أنها * بحر خضم واسع الأركـــــان**

فيها النجوم تفتقت أكمامها * كالورد أو كالزهر في البستان**

أنظر إلى تلك العجاب وافتكر* في كنهها وبغايـــة الإمعـان**

ونحن نقرأ هذه الأبيات نستشف أن الشاعر يفرّ من واقعه ويغترب عنه إلى عالم الطبيعة وهو ما تعبر عنه مفردات (ناجيتها، وملكت على مشاعر الوجدان، فأحببتها) إنها حالة حب كما قال وتنفيس عن حالة القنوط واليأس من الواقع، أما مفردات (البحر، الورد، الزهور، النجوم، الليل...) إنه بحر الواقع المرير الرهيب الذي يغترب "رمضان حمود" في واسع أركانه ونجوم يتطلع إليها كي تضيء طريق الشعب وظلام أيامه، ودهور يحب تفتقها ويرنو إليه كي يزيل ذبول الواقع ويبسه.

ونحاول في ختام دراستنا للمعجم الشعري عند "رمضان حمود"، أن نوجز في جدول أهم الحقول الدلالية التي تسير ضمن توجه البحث والتي تثبت حقيقة مظاهر الاغتراب فنيا في شعر "حمود" وخصوصا في المعجم الذي استخدمه:

حقل الطبيعة (صامتة ومتحركة)	حقل أعضاء الإنسان	حقل الحزن والأسى	حقل الموت
كالببغاء، أيها الطائر، الدهر، الحياة، الأيام، سمائك، للبدر، ظلام، الليل، النجوم، الزهور الورد، كوكبا، ديارها، الأرض نار، دارة الحمل، الدجى.	القلب، يا قلبي، أيها القلب (أكثر من مرة) الفؤاد، الحشا، رؤوس الصغار العين، مهجتي روحي، جسمي، الضلوع يد، الآذان، الحجا...	الألم، الحزن، الخيبة الحرمان، هموما مكلوم، الحياة مرة ثقيلة، أوصابك، النوائب، اليأس، الأسى، الشجو، الكآبة، المنكود، هموما ثقالا، من الشقاء، يغيب مقدبة الأكدار.	قاتل، ودمك، تضمحل وتموت، صريعا، الردى يتيم، ماتت، الرميم...

يجب أن نشير هنا إلى أن هذه الدراسة مبسطة وليست لكامل الحقول وإنما فقط للحقول التي لها علاقة بالاغتراب والتي ساهمت في بناء معجم الشاعر والتي تدل على الاغتراب كما أنها فقط نماذج للتدليل على وجود هذه الظاهرة وعينة سقناها للتمثيل.

نستخلص أن "**رمضان حمود**" تمكن من تسخير مظاهر الطبيعة للتعبير عن انفعاله الشعوري من حزن وقلق واكتئاب، كما أنه انتقى من الألفاظ والمفردات ما يكوّن به معجما يعكس غربته وإن كنا نرى غياب خاصية التفرد والتميز في التعبير عن الاغتراب لدى "حمود" لأنه انغمس في الاتكاء على الشعر القديم فضاق معجمه الشعري ومع ذلك يمكن القول عموما أن الشاعر وفق في هذه المرحلة في إيصال انفعالات نفسيته المغتربة للقراء ونجح في خلق معجم شعري مناسب للإفصاح عن اغترابه.

3 اللغة الشعرية

تعتبر اللغة رافدا للتعبير عن خلجات النّفس من مشاعر فرح أو حزن واغتراب ،بل هي روح الأدب وعنوانه ولا يقوم أي بناء فني أو نص جمالي خارج حدود اللغة ، والشاعر المغترب يعتمد لغة دقيقة في صياغتها وعميقة ورامزة أحيانا أخرى، كي يحيل القارئ على مشاعر الاغتراب الكامنة في نفسه .«وتتميز اللغة التي اعتمدها في قصائده بالسهولة والبساطة الخلو من الألفاظ الغريبة»[28] وإذا نظرنا إلى لغته الشعرية في سياق تاريخي إنصافا له ، وجدناها لغة استثنائية تلاءم الظرف الاستعماري للجزائر والاحتلال، هذا إذا ما وضعنا في الحسبان أن "**حمود**" شاعر إصلاحي، لم يكن يولي للّغة مساحة كبيرة من الاهتمام وكانت عنايته بالفكرة والمضمون أكبر ، وبالتالي ابتعد في لغته عن الفنية والجمالية، «إن شاعرنا يتوجه بعمله الشعري إلى الغير لا إلى نفسه ، ويلتفت أولا وبالذات إلى الجمهور المتلقي الذي يهمه أن يفهم عنه ، ويقتنع بآرائه ومن ثم يحاول أبدا أن يكون واضحا في ألفاظه ومعانيه يتوخى البساطة المتناهية في الألفاظ والتراكيب »[29]، فالسهولة عند شاعرنا هي مخاطبة المتلقين باللفظ الذي يفهمونه بعيدا عن كل تكلف وفي حدود اللغة الفصيحة بحث لم تكن لغته أبدا تعتمد العامية ، وإنما سهلة وقريبة من المتلقين.

يتضح لنا من خلال مدارستنا للشاعر «أن لغته الشعرية التي يفضلها هي المتمشية مع روح العصر والمتطورة معه، فهي سهلة التناول من المتلقين بسيطة تصل إلى النفس الإنسانية دون جهد أو تكلف، فهي لا تتعالى بكلمات غريبة معقدة، كما لا تسف إلى عامية شوهاء مبتذلة، إنها اللغة الوسطى كما يعبر عنها اليوم»[30]، ويكتفي "**حمود**" بتوظيفه معاني صريحة وكلمات تناسب الوضع ولا يمكن أن تخرج عن الإطار العام إلا أنها تعبر عن حقيقة الاغتراب الذي يعانيه فنجده يقول مثلا:

ذاب قلبي، ومات جسمي شهيدا * مـــــن هموم تنهال كالغيث فينا**

يا إلهـــي، أنت تعلم ســـــري * بين قومي صرت الغريب الحزينا**

عجـــل النصر للبـــــلاد فإننا * لمهاوي البـــــــلاد نساق عزينا**[31]

إنها لغة سهلة وبسيطة تعود إلى فهم الشاعر ذاته للشعر ومعبرة وحاملة لمشاعر الغربة، فهو قد صار غريبا حزينا وفقا لما قاله في البيت الثاني إنها تعكس وجهة نظره التي يقول معبرا عنها: «إنه لا يسمى الشاعر شاعرا عندي إلا إذا خاطب الناس باللغة التي يفهمونها، بحيث تنزل على قلوبهم نزول ندى الصباح على الزهرة الباسمة لا أن يكلمونا في القرن العشرين بلغة امرئ القيس وطرفة، والمهلهل الجاهليين الغابرين».[32]

لا يعني هذا أن أبياته الماثلة بين أيدينا تخلو من كلمات غريبة عن ذهن القارئ في مثل تلك الظروف كقوله في البيت الأخير "نساق عزينا".

أما في قصيدة "الرجل نفسه" استعمل مفردة "دارة الحمل" وهي صعبة لم يألف الناس التعامل معها.

فهاته غايتي بالجد أبلغها * وأبْتَني منزلا في دارة الحمل**[33]

كما أننا نجد أيضا بعض الكلمات التي تكون عادة غير مفهومة لعامة القراء "الأسل"، "الطروس"، "طغام"، "ضرام"، أسد غطارفة". التي وردت في أبياته على التوالي والترتيب.

لله در أبـي اليقـــظان نابغـــة * في عصره فهو ليث الغاب والأسل** [34]

وقوله:

حامي البيان إذا سالت محابره * فوق الطرووس يجزل القول والغزل**[35]

والبيتين من قصيدة وجهها "حمود" إلى أبي اليقظان.ومن قصيدة "في سبيل الحق" يقول أيضا:

واتخاذي الحق دينا ***بين أقوام طغام

ربّ إن الرّوح منّي ***ضاق من حر الضرام*[36]

وكلمة "أسد غطارفة" في قوله:

تراهم في الرخاء أسد غطارفة * إنْ حل خطب على أعقابهم رجعوا**[37]

أما إذا تساءلنا هل اللغة الشعرية عند الشاعر "رمضان حمود" عبرت عن حالة الاغتراب؟ فقد أجبنا عن هذا التساؤل في دراستنا للمعجم ولا داعي للتوسع في هذه المسألة كثيرا ذلك أن اللغة التي استخدمها لغة شاعر مغترب ، والمعجم اللغوي ثري وحافل بألفاظ وتراكيب دالة وحاملة لمشاعر هذا الاغتراب ،كم أنها لغة تفيض أحاسيس وهذا الذي ما فتئ ينادي به فيقول مخاطبا الأدباء: «فيا أيها الأدباء انبذوا عنكم التكلف والتنطّع في

اللغة، وأفرغوا المعني الجميل في اللفظ الجميل، أخضعوا لصوت الضمير والواجب وصفوا أنفسكم من الانتقام قبل الانتقاد ، ولا تقيدوا كتاباتكم بطريقة أحد مهما كان شأنه وقدره في الأدب ومهما كان بيانه الساحر».[38]

هذا وقد تميزت لغتة الشعرية بطابعين اثنين وقفنا عليهما من خلال قصائده أولها النزعة الخطابية وثانيهما الطابع الحكمي، هذا كله سنعرض له بالشرح والتمثيل بدءًا بالنزعة الخطابية.

3. 1.النزعة الخطابيـــــة:

نلاحظ في شعر "رمضان حمود" نزعة خطابية طافحة في عديد القصائد وهذه سمة الشعر الجزائري الإصلاحي عموما، كما تخلو قصائده من توظيف الخيال أو الوصف الهامس حتى في قصائد تفيض حزنا وبكاء على الأمة التي خلقت للنوازل كما صرح بذلك في قصيدة "دمعة حارة في سبيل الأمة والشرف" التي طغى عليها التكرار اللافت للنظر فأعطاها زخما خطابيا مما زادها حماسة وحدّة، فأبرزت كوامن شعورية حزينة ومغتربة فيقول:

بكيت – ومثلي لا يحق له البكا ** علـــــى أمـــــة مخلوقة للنوازل
بكيت عليها رحمة وصبابة ** وإنـــي على ذاك البكا غير نادم
ذرفت عليها أدمعا من نواظر ** تساهر طول الليل ضوء الكواكب
بكيت عليهم إذ نسوا كل واجب **ومالوا إلى حب الهـــوى والرذائل
بكيت عليهم كلما هب حرصهم * وظنوا بأن المـــــرء عبد الدراهم**
بكيت عليهم –لا أبا لك– فالبكا* طبيب يبل الصدر عند المصائب** [39]

القصيدة سمفونية حزينة ومؤثرة وتعبر عن واقع لا مفر من وصفه إلا أنها طافحة بالنزعة الخطابية وغلب عليها التكرار(بكيت عليهم، بكيت عليها، بكيت...) الذي هو انعكاس لأسلوب الخطابة ويعدُّه النّقاد لازمة من لوازم الخطبة التي تلفت النظر وتؤكد وترسخ المعلومة أو الفكرة ، وفي قصيدة "فحياة العز بالعلم الثمين" يتغلب التكرار فيغدو لازمة في كل بيت وإن كان هذا يعيب القصيدة فنيا ويجعل لغتها باهتة وفقا لآراء النقاد، إلا أنها تخدم الإطار العام وجو الحزن و الاغتراب، كما أنه يعكس لنا عمق الحالة النفسية التي وصلها الشاعر

لن ينال العز شعب كالجماد * فاقد الإحساس خال من شعور**
لن ينال المجد شعب بالرقاد * يترك اللب ويعنـــــي بالقشور**
أي شعب ساد في هاتي الدنيا * بجمـــود وخمـــول وكســـل**
أي شعب عاش فيها معلنا حقه* بالجهـل يومـــــا والزلـــل**
عرفوني بشعوب ارتقت * بظـــــلال وسكوت البهـــاء**
عرفوني بشعوب أعلنت * وبنوها فـــي صفوف الجهلاء** [40]

إن لغة الشاعر على بساطتها وسهولة ألفاظها، إلا أنها ركيكة أو ضعيفة فهي تخدم رسالة ناضل من أجلها "**حمود**" حتى أضحى مغتربا في أهله و«نحن نقرأ شعره لا نحتاج معه إلى قاموس ينجينا في تفسير الغامض من الألفاظ ولا تحتاج إلى كدٍّ ذهني للوصول إلى ما يريد من المعاني، فهو شعر قريب من النفس لبعده عن التكلف من ناحيتي الأسلوب والمعنى ...»[41]

3. 2. الأسلـوب الحكمـــي :

كثيرا ما ورد الاغتراب عند "**حمود**" في قصائد تأتي في سياق حكمي ووعظي واضح تأثر فيه شاعرنا بالمتنبي، وأبي العلاء، والطغرائي وأبي العتاهية ونجد مثلا مقطوعة طبعها بمسحة الوعظ والإرشاد تستدعي منا الوقوف والاعتبار يقول:

فواجع الدهر أشكال وألوان * والمرء عند حلول الخطب ولهان**
هي الحوادث لا تنفك تطلبه * وفـــي الحياة لـــه حب وطغيان**
يسعى الفتي وسرور العيش * يخدعه في كل آونة يغويه شيطان**
يا سادرا يبتغي عيشا بلا كدر * مهـــلا فإنـك بالنعماء نشـــوان**
فالعيش لا شك بالويلات ممتزج * وجملـــة العمـــر أفـــراح وأحزان**
إن الحياة وإن سرت مظاهرها * فجوفها لهـــــــلاك الناس بركان** [42]

إنها أبيات تفيض حكمة وكأننا أمام شيخ تجري الحكمة على طرف لسانه فيضا مدرارا ومن أين هذا كله وهو الشاب اليافع؟! لا غرابة ذلك أنها تصدر عن ذات مغتربة خبرت الحياة وهي تخلو بنفسها تأملا في صروف الدهر وتنضح لغة تزخر بالحكمة، ويقول أيضا:

لا تفتؤوا طالبين المجد أنصحكم* فالمرء قهرا على ماهم ينطبع**
أخاف عليكم أن تناموا فتهلكوا * من يغترر يوما فلا بد أن يكبو**
وليس قبيحا أن يقال كبوتم * ولكـــن ضعف النفس جبنا هو العيب**
ومن لم يذق طعم الرّدى بنضاله*سيشكو الأذى والدمع من عينه يجري**
شر البلاد بلاد خاف ساكنها * مـــن جمرة الجور أو من فتكة السفل**[43]

إنها دعوة للنهوض وشحذ الهمم، إنه الهم الذي ظل يؤرق الشاعر. ونخلص في الختام إلى أن لغته يجري فيها ماء الشعرية وطغت عليها النزعة الخطابية وحملت دررَ من الحكمة، ويرجع ذلك فيما نعتقد إلى كونه صاحب ثقافة كلاسيكية ترتكز على التراث العربي القديم والأهم من ذلك ثقافته الدينية وحفظه للقرآن الكريم الذي هو أساس بلاغته وحكمته.

4. خاتمة:

ختاما نقول أن الشاعر "رمضان حمود" وفق وإلى حد بعيد في التعبير عن مشاعر اغترابه ويبدو هذا أكثر وضوحا من خلال المعجم الشعري، وحتى على مستوي الصورة نلمس الظاهرة وهي تتجلى في جملة الصور التي أوردها الشاعر، والشيء المميز في حمود هو هذه الملكة النقدية التي تميز بها إضافة ملكة نظم الشعر، كما لفت نظرنا تجديده في القصيدة الجزائرية من خلال توظيفه للشعر غير الموزون وتنويعه في القوافي والبحور.

أخيرا نقول متسائلين بعد هذه الدراسة هل تحولت مشاعر الاغتراب إلى حد التطرف فأصابت شعرائنا بالاكتئاب والسكوت الشعري؟ وهل كان الاغتراب إيجابيا فارتقي باللغة فغدت فنية وراقية؟ أم أخذ منحا سلبيا فأنتج لغة هامسة ورامزة لا يفهما إلا الشاعر؟

5– الهوامش:

* المؤلف المرسل

[1] –ناصر بوحجام، أثر القرءان الكريم في الشعر الجزائري (1925 –1976)، المطبعة العربية، د ط، الجزائر: 1999، ج1، ص130.

[2]– محمد ناصر، رمضان حمود، حياته وآثاره، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط2، 1985، ص42.

[3] – الآية (7–8) سورة محمد.

[4] – الآية (160) سورة آل عمران.

[5] – وادي ميزاب: عدد19،1928/9/100، عن محمد الهادي بوطارن، رمضان حمود شاعر التقليد والتجديد.

[6] – الآية (46) سورة فصلت.

[7] – الآية (118) سورة النحل.

[8] – جريدة وادي ميزاب: عدد14،1928/9/100، عن محمد الهادي بوطارن، رمضان حمود شاعر التقليد والتجديد،

[9] – الشافعي، الديوان، شرح وتحقيق، عبد الرحمان المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط3، 2005، ص112.

[10] – محمد ناصر، رمضان حمود،حياته وآثاره، ص43.

[11] – الشنفري، الديوان، تحقيق إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت ط2، 1996، صص58–59.

[12] – محمد ناصر، رمضان حمود حياته وآثاره، ص43، محمد الهادي بوطارن، رمضان حمود شاعر التقليد والتجديد، ص161.

[13] – الطغرائي، الديوان، مطبعة الجوائب، القسطنطينية، ط1، 1300هـ، ص54.

[14] –صالح الخرفي، رمضان حمود، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دط، 1985، ص94.

[15] –المتنبي، الديوان، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، دط، 1983، ص571.

2– محمد ناصر، رمضان حمود، حياته وآثاره، ص43.

[17] –الرجع نفسه، ص41.

[18] –المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار الصادر، بيروت، لبنان، دط، م04، 1988، ص486.

[19] –هو السيد الحاج عمر بن داود بزملال المتوفي في سنة 1928، عن محمد ناصر، رمضان حمود حياته وآثاره.

[20] –محمد ناصر، رمضان حمود حياته وآثاره، ص41.

[21] –محمد الهادي بوطارن، رمضان حمود شاعر التقليد والتجديد، ص80.

[22] –نفسه، ص79.

[23]– محمد الهادي بوطارن، رمضان حمود شاعر التقليد والتجديد، ص 181.

24– أبو القاسم الشابي، الديوان، عبد المجيد طراد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1994، ص59.

[25] – محمد الهادي بوطارن، رمضان حمود شاعر التقليد والتجديد، ص79.

[26] –أبو القاسم الشابي، الديوان، عبد المجيد طراد، ص60.

[27] – محمد الهادي بوطارن، رمضان حمود شاعر التقليد والتجديد، ص141.

[28] – محمد الهادي بوطارن، رمضان حمود شاعر التقليد والتجديد، ص152.

[29] – محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث، اتجاهاته وخصائصه الفنية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 2006، ص287.

[30] – محمد ناصر، رمضان حمود،حياته وآثاره، ص67

[31] – محمد الهادي السنوسي: شعراء الجزائر في العصر الحاضر، تقديم العربي دحو، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، دط، ج1، 2007، ص187.

[32] – رمضان حمود، بذور الحياة، مطبعة الاستقامة، تونس، دط، 1928، صص126-127.

[33] – محمد الهادي السنوسي، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ج1، ص288.

[34] –محمد الهادي بوطارن، رمضان حمود، شاعر التقليد والتجديد، ص155.

[35] – نفسه، ص155.

[36] – نفسه، ص85.

[37] – محمد الهادي بوطارن، رمضان حمود، شاعر التقليد والتجديد، ص154.

[38] – رمضان حمود، بذور الحياة، ص127.

[39] –محمد الهادي السنوسي، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ج1، ص189.

[40] –محمد الهادي بوطارن، رمضان حمود، شاعر التقليد والتجديد، ص165.

[41] – محمد الهادي بوطارن، رمضان حمود، شاعر التقليد والتجديد، ص168.

[42] –محمد ناصر، رمضان حمود، حياته وآثاره، ص45.

[43] – محمد ناصر، رمضان حمود، حياته وآثاره، ص45.

6. قائمة المراجع:

❖ **القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.**

1.أبو القاسم الشابي ورسائله، تقديم وتحقيق مجيد طراد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1994م.

2.الإمام الشافعي، الديوان، تح عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، ط3، 2005م.
3.رمضان حمود، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دط،1985م.
4.رمضان حمود، بذور الحياة، مطبعة الاستقامة، تونس، دط، 1928م.
5.ريتشارد شاخت، مستقبل الاغتراب، ترجمة وهبة طلعت أبو العلا، منشأة المعارف، الإسكندرية، دط،2001م.
6.سميرة سلامي، الاغتراب في الشعر العباسي، القرن 4هـ، دار الينابيع، دمشق، ط1، 2000م.
7.شلتاغ عبود، حركة الشعر الحر في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دط، 1985م.
8.الشنفري، الديوان، تحقيق إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت ط 2، 1996م.
9.الطغرائي، الديوان، مطبعة الجوائب، القسطنطينية، ط1، 1300هـ.
10. عزيز السيد جاسم، تأملات في الحضارة والاغتراب، دار الأندلس، بيروت، لبنان، ط1، 1987 م.
11. عمر بن قينة، في الأدب الجزائري الحديث، تاريخا، وأنواعا، وقضايا، وأعلاما، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 1995م.
12. المتنبي، الديوان، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، دط،1983 م.
13. محمد الهادي السنوسي الزاهري، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، تحقيق عبد الله حمادي، دار بهاء الدين للنشر التوزيع، الجزائر، ج1، ج2، 2007.
14. محمد الهادي بوطارن، رمضان حمود شاعر التقليد والتجديد، الملكية للطباعة والإعلام والنشر.
15. محمد ناصر:
- الشعر الجزائري الحديث، اتجاهاته وخصائصه الفنية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 2006م.
- رمضان حمود حياته وآثاره، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط2.
16. المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار الصادر، بيروت، لبنان، دط، مجلد4، 1988
17. ناصر بوحجام، أثر القرءان الكريم في الشعر الجزائري (1925 -1976) المطبعة العربية، الجزائر، دط، ج1، 1999.

الرسائل:

18. سنوساوي عمارية، الإغتراب في الشعر الصوفي الجزائري، رسالة ماجستير، مخطوط، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، 2012م-2013م.
19. محمد عبد المنعم محمد قباجة، الغربة والحنين إلى الديار في شعر العصر العباسي الثاني، (232هـ-334هـ) رسالة ماجستير، مخطوط، جامعة الخليل، كلية الدراسات العليا، فلسطين، 2008م.